

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (٩٩)

[المائدة: 99]

### ❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

في الآية السابقة ذكر الحق ﷻ أنه شديد العقاب ترهيباً، وأنه غفورٌ رحيمٌ ترغيباً، فنزلت هذه الآية، بمعنى "أنه كان مكلفاً بالتبليغ، فلما بلغ خرج عن العهدة، وبقي الأمر من جانبكم" (1)، ثم زاد بأنه يعلم ما تظهرونه وما تخفونه؛ فمخالفتكم تدخلكم في حيز العقاب، وطاعتكم تدخلكم في حيز الغفران والرحمة.

### ❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿تُبْدُونَ﴾: فعلٌ مضارعٌ مُسَنَدٌ لواو الجماعة، الفعل المجرّد منه "بدا الشيء يبدو بدءاً، إذا ظهر وبدأ له في هذا الأمر بدءاً" (2)، وهو المعنى المراد في الآية، أي تظهرون ما في دواخلكم، فكل شيء يُظهره الإنسان، فقد أبداه (3).

(2) ﴿تَكْتُمُونَ﴾: فعلٌ مضارعٌ مُسَنَدٌ لواو الجماعة، الفعل المجرّد منه (كتم)، وهو نقيض الفعل السابق ﴿تُبْدُونَ﴾، ومصدره الكتمان، وهو يناقض الظهور والإعلان (4)، "وحقيقة الكتم ستر الشيء وتغطيته" (5)، وهذه المعاني متقاربة، وهي المقصودة في الآية الكريمة.

ما ذكر من عقاب  
الله وغفرانه،  
هو جوهر بلاغ  
الرسول  
للناس:

تظهرون ما  
في دواخلكم،  
وتفصحون عما  
في سرائركم

الكتمان ستر  
الشيء وتغطيته  
عن الناس

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 12/109.

(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (بدا).

(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (بدا).

(4) الخليل، العين: (بدا).

(5) السمين، عمدة الحفاظ: (كتم).

## ✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

المعنى هنا هو في تبليغِ الرَّسُولِ ﷺ للمؤمنين، وعن مراقبته سبحانه لعباده، وإحصاءِ أعمالهم عليهم، فما على الرَّسُولِ ﷺ إلاّ البلاغُ، وإيصالُ ما كُلِّفَ الله به لهم، وليس عليه الهدايةُ، فإن لم يمتثلوا ولم يُطيعوا فلا يضرّون إلاّ أنفسهم، وما يَجْنون إلاّ عليها، ولا عذرَ لهم في التّفريطِ، وأمّا الرَّسُولُ ﷺ، فقد فعلَ ما يجبُ عليه، وقام بما أمره الله به، والله سبحانه لا يخفى عليه شيءٌ من أحوالكم، أي نفاقكم ووافقكم، ظاهراً وباطناً فيجازيكم به<sup>(1)</sup>.

تأكيدُ مهمّةِ  
البلاغِ عن الله،  
وأنّه عالمٌ  
بظواهرِ البشر  
وبواطنهم

## ✽ الإيضاحُ اللّغويُّ والبلاغيُّ:

مِمَّا يَجْرِي مجزى النّيل، ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَغُ﴾:

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَغُ﴾، جملةٌ مستأنفةٌ مبنيّةٌ أنّ مهمّةَ الرَّسُولِ ﷺ هي البلاغُ حسب، وقد قامت عليكم الحجّةُ والبرهانُ، بعد ما قدّم من التّرهيب بشدّة عقابه، والتّرجيب بغفرانه ورحمته، "أتبعه بالتّكليف بقوله ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَغُ﴾، يعني أنّه كان مكلفاً بالتّبليغ، فلمّا بلغَ خرجَ عن العُهدِ، وبقي الأمرُ من جانبكم"<sup>(2)</sup>، والعبارة مكرّرة بتمامها في [سورة النّور من الآية: 29]، وقد غدت هذه الآيةُ كالمثل<sup>(3)</sup>، يُضربُ للتّشديدِ والوعيدِ فيمن خالف، و(ما) نافية، وهي من الألفاظ التي لها الصّدارة في الكلام، قوله: ﴿عَلَى الرَّسُولِ﴾، جارٌّ ومجرورٌ، متعلّقٌ بمحذوفٍ خبر مقدّم، وتقديمه ليس من باب الوجوب، بل من باب الجواز، والألفُ واللامُ في الرَّسُولِ عهديّةٌ، فهو محمّد المصطفى ﷺ.

الجملةُ  
مستأنفةٌ مبنيّةٌ  
لمهمّةِ الرَّسُولِ  
الإبلاغيةِ

(1) الفتوّجي، فتح البيان: 4/59.

(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 12/109.

(3) الخوارزمي، الأمثال للوئدة، ص: 348.

**أسلوب القصير ودلالته، في قوله: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾:**

الاستثناء المفرغ  
وأثره في تبريز  
معنى الآية

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفعلة وتحقق مع (ما) النافية الحصر أو القصير، فـ(ما) ألغت الاستثناء الكامن في (إِلَّا) والمعنى (عَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ) إِلَّا أَنَّهُمَا مَعًا حَقَّقَتَا الْقَصَرَ، ﴿أَلْبَلَعُ﴾ اسم مصدر زنة (فعال) واسم المصدر موافق للمصدر في معناه في دلالة على الحدث وهو هنا التبليغ<sup>(1)</sup> وفعله (بلغ) المضَعَّف (بلغ تبليغاً) واسم مصدره ﴿أَلْبَلَعُ﴾.

**دلالة التعبير في القرآن، بالبلاغ دون التبليغ:**

الألف واللام  
في لفظ (البلاغ)  
عهديّة، تُنبئ  
عن أصل هذا  
البلاغ

ويُلاحظ أنه ورد في جميع القرآن اسم المصدر (بلاغ)، ولم يرد المصدر (تبليغ)، والسّر في ذلك أن جميع ما ورد استعمله القرآن الكريم استعمال الاسم، من غير أن يذكر فعله لفظاً مثل: ﴿وَاللَّهُ أَتَبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: 17]، أو تقديرًا مثل ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ [هود: 69]، لذلك ورد باسم المصدر، وهو هنا أي (البلاغ) مبتدأ مؤخر جوازاً؛ لأنه معرفة، وتعريفه بالألف واللام العهديّة أي البلاغ المعهود المعروف، وهو شرائع الإسلام.

**﴿أَلْبَلَعُ﴾ مقصور من باب قصر الصفة على الموصوف:**

القصير ليس  
بحقيقي؛ لأنّ  
على الرسول  
مهام أخرى  
غير البلاغ

والمبتدأ هنا هو المحصور أو المقصور، لوقوعه بعد إلا أي قصر الخبر على المبتدأ، وهو من باب قصر الصفة على الموصوف، قصر صفة التبليغ والإنذار على الموصوف في هذه الآية، وهو النبي ﷺ، وهو قصر إضافي "إذ الكلام حول مسؤولية الرسول ﷺ، تجاه قومه في موضوع رسالته، ولا يدخل في هذه الدائرة الخاصة ما يجب على الرسول من واجبات أخرى"، فمهمته البلاغ، أي التبليغ، وإيصال المعنى إلى المكلفين في أحسن صورة، فليس عليه مثلاً هدايتهم، ولا

(1) البغوي، معالم التنزيل: 3/104.

مجازاتهم "، والقصرُ ليس بحقيقيٍّ؛ لأنَّ على الرَّسولِ أمورًا آخرَ غيرَ البلاغِ، مثلَ التَّعبُدِ لله تعالى، والخروجِ إلى الجهادِ، والتَّكاليفِ الَّتِي كَلَّفَهُ اللهُ بها مثلَ قيامِ اللَّيْلِ<sup>(1)</sup>.

**مفهوم الاستعلاء بالحرف (على) في قوله: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾:**

﴿عَلَى الرَّسُولِ﴾ جاء التعبيرُ هنا بـ(على) حرفُ جرٍّ فائدته الاستعلاء<sup>(2)</sup>، كأنَّ الأمرَ النَّازلَ على الرَّسولِ تلبَّسَ به، وتمكَّنَ منه؛ لأنَّه لو قال (إِلَى الرَّسُولِ)، لما أعطى هذا المعنى، كما وردَ في آياتٍ أخرى فإنَّ (إلى) تدلُّ على الوصولِ، والأمرُ هنا أمرٌ بلاغٍ؛ لذلك جاء بأسلوبِ القصرِ، وليس للرَّسولِ ﷺ سوى البلاغِ؛ وأنَّ الأمرَ نازلٌ من علٍّ، فالرَّسولُ بشرٌ مثلكم ليس له ما يخلعُ على هذا البلاغِ لباسَ المهابةِ، لتهيئاً نفوسهم لتقبُّله والعملِ به.

**تقديم المسند إليه ﴿وَاللَّهُ﴾ على المسند ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾، لإفادة تقوية الحكم:**

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: الواو استئنافيةٌ، والجملةُ بعدها مستأنفةٌ، وهي جملةٌ ابتدائيةٌ، ﴿وَاللَّهُ﴾ لفظُ الجلالة مبتدأٌ وتقديمه على المسند لإفادة تقوية الحكم<sup>(3)</sup> خبره (يعلم) هو جملةٌ فعليةٌ زمنها الحالُّ أو الاستقبالُ، و(ما) بمعنى الذي في محلِّ نصبٍ مفعولٌ به، يعني يعلمُ الذي تُبدونه.

**التعبيرُ بـ(ما) الموصولة، وعدمُ التعبيرِ بـ(الذي) الموصولة:**

عبرَ السياقُ بلفظِ ﴿مَا﴾، ولم يعبرَ بالذي؛ لأنَّ الذي نصُّ في الموصولة، فهو محدَّدٌ، أمَّا ﴿مَا﴾ فهي مُبهمَةٌ تقعُ على كلِّ شيءٍ، والسياقُ يقتضيها؛ لأنَّه أراد أن علمه يُحيطُ بكلِّ شيءٍ، ظاهرٌ منه

أثرُ الأسلوبِ  
بالقصرِ  
والاستعلاء في  
انجذابِ النفوسِ  
للبلَاغِ

لا يخفى على  
الله ما يُبدية  
النَّاسُ وما  
يخفونه، فهو  
يعلمُ السرَّ  
وأخفى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/61.

(2) ابن السراج، الأصول في التَّحْوِ: 3/176.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/61.

ما يقتضيه  
السياق القرآني  
يُوضِّحُ في  
موضعه الذي لا  
يصح فيه غيره

التعبير بالعلم  
الدال على  
المعرفة

وباطن، وقوله ﴿تُبْدُونَ﴾ جملةٌ من الفعل والفاعل، صلة الاسم الموصول، ثم عطف عليه ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾، وهو مثله تماماً مع اختلاف معنى الفعلين.

**حذف العائد من قوله: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾:**

﴿مَا تُبْدُونَ﴾ و﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾، العائد محذوفٌ فيهما، تقديره (مَا تُبْدُونَهُ) و(مَا تَكْتُمُونَهُ)، وفي حذفه تناسبٌ مع سياق الآية، وكأن فيه إيماءً إلى أن الله يعلم كل شيء، ولو كان خافياً، أو أنكم تبدون غيره، فإننا نعلم "أن ظاهرة التناقض تُعطي للمناقض حقوق المسلم الظاهرة الموقوتة بحياته وزمنه"<sup>(1)</sup>، أي ما تبدون شيئاً، وتُضمرون غيره، والعلم في حقيقته اليقين، وهو يتعدى لمفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، لكنه هنا بمعنى المعرفة؛ لأنه يتعدى لواحدٍ هو (مَا تُبْدُونَ)، والتعبير بالعلم الدال على المعرفة، وذلك لـ "أن المعرفة علمٌ بعين الشيء مفصلاً عما سواه، بخلاف العلم، فإنه قد يتعلق بالشيء مجملاً"<sup>(2)</sup>، وهو مناسبٌ لتمام الآية، فالعلم هنا متعلقٌ بالشيء على جهة التفصيل، في أن علمه مُستَوَلٍ على ما يُبدونه، "لأننا نعلم ما عمله العامل منكم، فأظهره بجوارحه، ونطق به بلسانه"<sup>(3)</sup>، ومستَوَلٍ على ما يكتُمونه، يعني "ما تخفونه في أنفسكم من إيمانٍ وكُفرٍ، أو يقينٍ وشكٍّ ونفاقٍ"<sup>(4)</sup>، فكله غير خفيٍّ عليه سبحانه، بل "وذكر ما تبدون مقصودٌ منه التعميم والشمول، مع ما تكتُمون... فلا يُظن أن الله لا يعلمه"<sup>(5)</sup>.

(1) السَّعَاوِي، تفسير السَّعَاوِي: 6/3418.

(2) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 4/51.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 11/95 - 96.

(4) ابن جرير، جامع البيان: 11/96.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/62.

**علة تقديم قوله: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ على قوله: ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾:**

وتقديم ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ على ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾، هو تقديم لما يلائم الطبع، كتقديم الواحد على الاثنين، والاثنين على الثلاثة في الحساب والعدد، كقوله تعالى: ﴿فَأَنصِرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلثَ وَرُبْعَ﴾ [النساء: 03]، فالإنسان بطبيعته يُبدي كلامه، وأحياناً يكتُم ما لا يريد إظهاره فقدّم ما عليه الإنسان من الطبيعة وآخر سوى ذلك.

**المطابقة بين قوله: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ وقوله ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾:**

كما أنّ بين التّركيبين مطابقةً، بين ﴿تُبْدُونَ﴾ و﴿تَكْتُمُونَ﴾، فهما معنيان متضادّان، وجود أحدهما بجانب الآخر يُعطي نصاعةً بيانيةً، لا تتحقّق في وجود أحدهما مُنفرداً بسياقٍ مختلفٍ.

**الفرق المعجميّ بين لفظي (الكتمان) و(الإخفاء):**

وثمة فرقٌ معجميّ في استعمال الكتّمان، وعدم استعمال ما يرادفه لغةً، وهو الإخفاء؛ لأنّ "الكتّمان غيرُ الإخفاء، فكتّم الشيء يعني أنّ الشيء ظاهرٌ للوضوح، ولكنّ صاحبه يكتّمه، أمّا الإخفاء فهو ما يدور بالخواطر، ويمكن أن يُخفيه الإنسان، ولكنّه مع مرور الوقت لا يستطيع ذلك"<sup>(1)</sup>، يؤيّد قول الشاعر الجاهليّ زهير بن أبي سلمى:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ \*\*\* وَإِنْ خَالَهَا، تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ<sup>(2)</sup>  
فاستعمل الشاعر الفعل (تخفى)، ولم يستعمل الفعل الآخر المرادف له من ناحية اللغة عموماً، لكنّه لا يحلُّ محله، من جهة سياق البيت الشعريّ، وكذا الوارد في الآية، فإنّ استعمال ﴿تَكْتُمُونَ﴾

القاموس  
القرآني  
تلوّن فيه  
المفردات بتلوّن  
السياقات، في  
دقة وإعجاز

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 6/3418.

(2) الأبيات من معلقة زهير بن أبي سلمى، في ديوانه، ص: 36 - 37.

أبلغ؛ لأنَّ الكتمانَ أعمقُ وأدخَلَ، بينما الإخفاءُ يظهرُ، وينكشفُ مع مرورِ الأيامِ، والله ﷻ عالمٌ بما يكتُمُهُ المرءُ، وإن كان عميقاً لا يظهرُ مع مرورِ الأيامِ، ولأنَّ الإخفاءَ قد يظهرُ وينكشفُ، من غير تدخُّلٍ، وبذلك لا تكون هناك مزيةٌ لصفته تعالى، أمّا مع الكتمانِ فمزيته واضحةٌ بيّنةٌ، في أنَّه مُطَّلَعٌ على أسرارِ النفوسِ، وخبايا الأرواحِ.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106  
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

\*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

\*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 9، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-61-3

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 9: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-61-3

\*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

\*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

\*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»